الاتبـــــاع

للأستاذ مهدي أحمد جليل

قال أبو البقاء في الكليات : الإتباع أن تُـتْـبِـعَ الكلمةَ الكلمةَ على وزنها أو رويها إشباعا وتوكيدا حيث لايكون الثاني مستعملا بانفراده في كلامهم ، وذلك يكون على وجهين: أحدهما أن يكون للثاني معنى كما في هنيئا مريئا، فيؤتى به للتوكيد لأن لفظه مخالف للأول؛ والثاني ألايكون له معنى بل ضم إلى الأول لتزيين الكلام لفظا وتقويته معنى، نحو حَسَن بَسَن، وهو لايكاد يوجد بالواو.

وقال الثعالبي في فقه اللغة : الإتباع من سنن العرب في كلامهم ، وذلك أن تُـتْـبِـع الكلمةَ الكلمةَ على وزنها أو رويها إشباعا وتوكيدا اتساعا ، كقولهم: جائع نائع، وساغب لاغب، وعطشان نَطْشَان، وحَبٌّ ضَبٌّ، وخراب يَبَاب.

وبعضهم اختار جواز العطف في الإتباع، وبعضهم منعه كما قال ابن فارس في فقه اللغة نحو حَيّاكَ الله وبَيّاك ومعنى بياك أضحكك.

وفي الإتباع إذا كان الثاني بمعنى الأول كان للتأكيد ، وإنما يكون اللفظ مقضيا عليه بالإتباع إذا لم يستعمل في كلامهم منفردا عن الأول ، كقولهم: عطشان نطشان، فنطشان لم يفصل عن عطشان، ولذا قيل في نحو هذا إتباع؛ لأنه لامعنى له إذا جيء به وحده أو كان لايستعمل بهذا الوزن إلا مع غيره كما في هَنأني [1] الطعام ومَرَأني [2] فإنهم إذا أفردوا الثاني قالوا: أمرأني [3] . ويشبه هذا قولهم آتيه بالغدايا والعشايا إذا قرنوا بينهما ، فإذا أفردوا الغدايا ردوها إلى

---

(١) لم يحدث لي منه تعب ولا مشقة (٢) لم يثقل على معدتي وانحدر عنها طيبا

(٣) في اللسان والتاج يقال: مرأني الطعام وأمرأني (بلا اشتراط ازدواج لأنهما لغتان ، وعلى اللغة الاولى ليس في الكلام إتباع)

أصلها وقالوا الغُدوات[1] . ومن الخبر المشهور : خَيْرُ المالِ مُهْرَة مَأْمُورة وسِكَّة مَأْبُورة (السِّكَّةُ الطريقة المصطفة من النخل، والمأبورة المُلَقَّحةُ . وقيل السِّكَّةُ سِكَّةُ الحَرْث،والمأبورة المصلحة له،أراد خير المال نِتَاج أو زرع) . وظاهر كلام ابن عصفور فى شرح الجمل أن التابع نعت حيث عده من قبيل مايُنْعَتُ به ولا ينعت. ثم قال : إن الإتباع ليس بقياس:وتبعه فى ذلك السيوطى فى الهمع حيث قال: ومِنَ النعتِ مالا يقع إلا تابعا كالاسم الثانى من قولهم حسن بسن ، وشيطان ليطان . وبعضهم قال : إن الإتباع قسم من التوكيد ، لأن التابع توكيد للمتبوع غير مبين معنى بنفسه كأكتع وأبصع مع أجمع ، وقيل:إنهما مختلفان؛ والإتباع مالم يحسن فيه واو نحو حسن بسن،والتوكيد تحسن فيه الواونحو حلْ وبِلْ . وقال بعضهم:الإتباع داخل فى التوكيد بالتكرار عند الأكثرين لأنه لم يغير من الكلمة إلا حرف[2] وقال ابن خالويه : ليس فى كلام العرب إتباع بخمس كلمات إلا فى كلمة واحدة مال كثير بثير بحير بذير عمير مرير، فأما الثلاث والاثنان فكثير(سيأتى أنهاست) نحو حَسَن بَسَن فَسَن وحارٌّ بَارٌّ جارٌّ .

قيل لأعرابى:ماتريدون بقولكم فلان كَزٌّ لزٌّ؟فقال حرف نَتِدُّ به كلامنا (نؤكده به)

قال الخفاجى فى شرح درة الغواص :الإتباع على قسمين : مالا معنى له أصلا غير التقوية كحَسَن بَسَن،وماله معنى ظاهر كقسيم وسيم : أو غير ظاهر كشيطان ليطان ؛ أى لاصق بالشر، وهو كما قال ابن فارس : إما معرب بإعرابه كحسن بسن،أو مركب معه كحَيْصَ بَيْصَ، فإنه إتباع، وقد يكون بأكثر من لفظ . وفى غير الأسماء نحو لابارك الله فيه ولا تارك ولا دارك،

(١) فى اللسان والتاج : يقال غدوة وغدية (ومادام قد سمع فى مفرده غدية كان جمعه على غدايا قياسيا من غير احتياج إلى الازدواج) (٢) هذا فى الغالب ومن غير الغالب : هنأنى الطعام ومرأنى

قال ابن الدهان فى الغرة: وهو عند الأكثرين قسم من التوكيد، وبعضهم جعله قسما من التوابع على حدة لجريانه على المعرفة والنكرة. وإذا كان توكيدا يحتمل أن يكون معنويا ولفظيا على أنه أبدل منه حرف لدفع صورة التكرار كما أشار إليه الرضى.

وفى البلغة فى أصول اللغة: وإنما سمى إتباعا لأن الكلمة الثانية إنما هى تابعة للأولى على وجه التوكيد لها وليس يتكلم بالثانية منفردة،فلهذا قيل إتباع، وظن بعض الناس أن التابع من قبيل المترادف لشبهه به والحق الفرق بينهما فإنهما يفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت والتابع لايفيد وحده شيئا. بل شرطُ كونه مفيدا تقدم الأول عليه. كذا قال الرازى. وقال الآمدى:التابع لايفيد معنى أصلا. وقال السبكى:والتحقيق أن التابع يفيد التقوية، فإن العرب لاتضعه سُدى،والفرق بينه وبين التوكيد أن التوكيد يفيدمع التقوية نفى احتمال المجاز. وأيضا التابع من شرطه أن يكون على وزن[1] المتبوع، والتأكيد لايكون كذلك.وقال الزمخشرى:الإتباع على ضربين:ضرب فيه الثانى بمعنى الأول فيؤتى به توكيدا لأن لفظه مخالف للأول، وضرب فيه معنى الثانى غير معنى الأول،فمن الأول قولهم قسيم وسيم،وكلاهما بمعنى الجميل،وصَئيل بَئيل، وهما بمعنى وشيطان وليطان.

ومثل هذا فى المزهر.

وفى الأشباه والنظائر للسيوطى:الاتباع أنواع:فمنه إتباع حركة آخر الكلمة المعربة لحركة أول الكلمة بعدها، كقراءة من قرأ الحمدِ لله بكسر الدال إتباعا لكسرة اللام. وإتباع حركة أول الكلمة لحركة آخر الكلمة قبلها، كقراءة من قرأ الحمدُ لله بضم اللام إتباعا لحركة الدال.

وإتباع الحرف الذى قبل آخر الاسم المعرب لحركة الإعراب فى آخره

(١) ومن الشاذ رَغْما دَغْما شَنَّغْمَا كما سيجىء فى الأمثلة.

وذلك فى اُمرِىء (١) واُبنِم (٢) فإن الراءَ والنونَ يتبعان الهمزةَ والميمَ فى حركتهما نحو إن اُمرُؤٌ هَلَكَ . مَا كَانَ أَبُوكِ اُمرَأَ سَوْءٍ . لِكُلِّ اُمرِىء منهم...وكذلك اُبنُم ولاثالث لها فى إتباع العينِ اللامَ.

وإتباع حركة الفاءِ اللامَ وذلك فى مَرْء وَفم فان الميمَ والفاءَ يتبعان حركةَ الهمزةِ والميم فى بعض اللغات فيقال هذا مُرْؤٌ (٣) وُفْم (٤) ورأيت

(١) فى إعراب اُمرِىء ثلاث لغات .

ا — إعرابه من مكانين تقول:هذا اُمرُؤ ورأيت اُمرأ ونظرت إلى اُمرِىء.

ب — فتح الراء فى أحواله الثلاثة تقول هذا اُمرَأ ورأيت اُمرَأ ونظرت إلى اُمرَأ .

ج — ضم الراء فى أحواله الثلاثة تقول:هذا اُمرُؤ ورأيت اُمرُؤا ونظرت إلى اُمرُىء.

(٢) هو ابن زبدت فيه الميم كما زيدت فى دُلقم من قولهم اُمرأة دُلقم أى هَرِمة . وفى زُرقُم والزرقم شديد الزُّرقَة،اللون المعروف.وفى شَدقَم وهو واسع الفم ، وفى فُسحُم وهو واسع الصدر — وفى إعرابه لغتان :

ا — إعرابه من مكانين يقال هذا اُبنُمُكَ ورأيت اُبنَمَكَ ونظرت إلى اُبنِمِكَ .

ب — إعرابه من مكان واحد وهو الميم لأنها صارت آخر الاسم ، وتبقى النون مفتوحة فى جميع الأحوال .

(٣) المرء الإنسان وفى إعرابه لغتان :

ا — فتح الميم فى أحواله الثلاثة تقول: هذا مَرْء ورأيت مَرْءا ونظرت إلى مَرْء .

ب — إعرابه من مكانين تقول هذا مُرْء ورأيت مَرْءًا ونظرت إلى مرْءٍ .

(٤) فى إعراب فَم أربع لغات :

ا — فتح الفاء فى أحواله الثلاثة تقول هذا فَم ورأيت فَما ونظرت إلى فَم=

مَرْءًا وَفَمًا ونظرت إلى مرْء وفم ولا ثالث لهما .

وإتباع حركة اللام للفاء فى البناء على الضم فى مُنْذُ فان الذال ضُمت إتباعا لحركة الميم ولم يعتد بالنون حاجزا ، ونظيرها فى ذلك بناء بَلْهَ على الفتح إتباعا لفتحة الباء ولم يعتد باللام حاجزا لسكونها،وقول الشاعر :

عَجِبْتُ لمولود وليسَ لهُ أبُ وذِى وَلَد لم يَلْدَهُ أبوان

فتح الدال فى يَلْدَهُ إتباعا لفتحة الياء عند سكون اللام . وإتباع حركة الميم لحركة التاء ،والخاء والغين،فى قولهم مِنْتِن ومِنْخِر ومِغيرة، ومنهم من يقول: مُنْتُن بضم التاء إتباعا لضمة الميم . ومنه إتباع حركة فاء الكلمة لحركة فاء أخرى لكونها قرنت معها؛يقولون: ماسمعت له جَرْسا أى صوتا إذا أفردوا ، فإذا قالوا ماسمعت له حسًّا ولا جِرْسا [1] كسروا الجيم على الإتباع، ومنه سكون عين كلمة لسكون عين أخرى أو حركتها لحركتها يقولون: رِجْس [2] نِجْس فإذا أفردوا قالوا نَجِس [3] .

ومن إتباع الكلمة فى التنوين لكلمة أخرى منونة صحبتها كقوله تعالى: وجِئْتُكَ من سَبَأٍ [4] بِنَبَأٍ يقين ، إنّا أعْتَدْنَا للكافرينَ سَلاَسِلا

= ب — ضم الفاء فى أحواله الثلاثة تقول:هذا فُم ورأيت فُمًا ونظرت إلى فُم.

ح — كسر الفاء فى أحواله الثلاثة تقول هذا فِم ورأيت فِمًا ونظرت إلى فِم.

د — إعرابه من مكانين تقول هذا فُم ورأيت فَما ونظرت إلى فِم . وأصل الفم الفُوهُ بدليل قولهم:أفْوَهُ أى عظيم الفم ومُفَوَّه أى يجيد الكلام.

(١) فى اللسان الجَرْسُ والجِرْس والجَرَس الصوت وعلى هذا فليس فيه إتباع .

(٢) الرِّجس القَذَرُ أو الشىء القَذِر .

(٣) النَّجَسُ القَذِرُ غير النظيف .

(٤) اسم يجمع عامة قبائل اليمن،ممنوع من الصرف ، وقيل اسم بلدة كانت تسكنها بلقيس،وقيل هى مدينة مَأرِب .

وأغلالا وسعيرا . فى قراءة من نوّن الجميع،وحديث«أنفق بلالا (١) ولا تخش من ذى العرش إقلالا» . ومنه إتباع كلمة لأخرى فى فك ما استحق الإدغام كقول النبي ﷺ فى الحديث لنسائه«ليت شعرى أيتكنّ صاحبة الجمل الأدبب تخرج فتنبحها كلاب الحوءب» (٢) . وإنما الأدبّ فأظهر التضعيف وأراد الأدبّ وهو الكثير الوبر ليوازن بين الحوءب .

ومنه إتباع كلمة فى إبدال الواو فيها همزة لهمزة فى أخرى كقول النبى ﷺ فى نهى النساء عن زيارة القبور (٣)«ارجعن مأزورات غير مأجورات» والأصل موزورات من الوزر وهو الاثم والذنب ، وإنما همز ليشاكل مأجورات من الأجر .

ومنه إتباع كلمة فى إبدال واوها ياء لياء فى أخرى كحديث (٤) لادريت ولا تليت والأصل تلوت من التلاوه . ومنه إتباع ضمير المذكر لضمير المؤنث كحديث«اللهمّ ربّ السموات السبع وما أظللن وربّ الأرضين وما أقللن

(١) بلال بن رباح المؤذن ممن سبقوا إلى الإسلام ، مات على الصحيح بدمشق سنة ٢٠ .

(٢) منزل بين البصرة ومكة وهو الذى نزلت به عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها لما جاءت الى البصرة فى وقعة الجمل،وقيل موضع بئر نبحت كلابه أمّ المؤمنين مقبلها من البصرة .

(٣) هذا الحديث منسوخ لأن الرسول أذن فيها بعد .

(٤) فى الحديث فى عذاب القبر أن المنافق إذا وضع فى قبره سئل عن محمد ﷺ وماجاء به فيقول لاأدرى، فيقال:لادريت ولاتليت ولااهتديت قيل فى معنى قوله ولاتليت، ولاتلوت:أى لاقرأت ولادريت وقال:تليت ليعاقب بها الياء فى دريت ، وقيل:إنما هو أتليت ، وقيل:اتّليت أى أطقت واستطعت وقيل الصواب:اتتليت .

وربّ الشياطين وما أضللْن، الأصل أضللوا بضمير المذكر، لأن الشياطين من مذكر من يعقل، وإنما أتت إتباعا لأظللن وأقللن. ومن إتباع اليزيد الوليد فى إدخال أل عليه فى قول الشاعر :

رأيتُ الوليد بن اليزيد مُباركا شديداً بأعباء الخلافة كاهلُه

ومن الإتباع قراءةُ أبى جعفر للملائكةُ اسجُدُوا بضم التاء للإتباع.

مهدى أحمد غليل